

عقيدة الزعامة في النازية

للدكتور جواد علي

—

لا نفهم وجهة نظر الوطنية الاشتراكية للعالم إلا إذا اطلع المرء على عقيدة الزعامة Führers chaft التي هي الأصل الأول من أصول المذهب النازي والعمود الذي ترتكز عليه جميع تعاليم الحزب ونظرياته . فلا تتساهل المؤسسات المتسلية أبداً أمام التساهل بهذه العقيدة أو الكافر بها . لذلك سخرت جميع ممتلكاتنا من وسائل في سبيل تأييدها وحض الناس على الاعتقاد بها . وطهرت السياسة والعلم والفن والصناعة — على حد تعبير الوطنية الاشتراكية — من جميع الأدراج التي تراها تصطبغ مع هذا الإيمان المطلق . ولم تتساهل حتى مع أكبر الأساندة الذين لم يجد منهم ميلاً أو تأييداً في القول أو الفعل

وعقيدة الزعامة هذه تنحصر في زعامتين : الزعامة الفردية ، والزعامة المنصرية ، أو الأهمية . ومتى عرفت هاتين الزعامتين انضج لك سبب تهجم هتلر على الماركسية والماسونية واليهودية ، وكل فكرة أو نظرية علمية أهمية . أما الزعامة الفردية فتستند إلى قاعدة أن الأفراد ليسوا في الاستعداد على حد سواء . وكذلك في المؤهلات العقلية والإنتاجية . فهناك درجات كل درجة أرقى من التي تحتها ؛ وهكذا ترتقي الدرجات حتى تصل إلى درجة زعيم فوهرر Führer ، وهو زعيم الزعماء ، إذ أن كل فرد بالنظر إلى من هو أدنى منه عقلاً أو جسماً أو أضعف منه إرادة زعيم مفترض للطاعة . وعلى حسب هذه الدرجات تتوزع كذلك المسئولية والوظيفة والواجب . وهذه المواهب والقابليات موهوبة فطرية لا تكسب بعلم ولا يحصل عليها بتهذيب أو درس^(١) Angeboren ، والزعيم الأكبر الذي يتولى قيادة الشعب العامة هو الذي يكيف الشعب حسب إرادته وروحه Geist und wille وبضع الخطط العامة . ولا بد لهذا الزعيم من مؤهلات روحية تميزه عن أفراد شعبه ، وقوى خارقة ممتازة من أهم صفاتها الإرادة والشجاعة والخيال

والتفكير والخطابة والمقدرة السياسية والتضحية والإنتاج^(٢) هذه الصفات كما ذكرنا فطرية مجبولة في الشخص ، فالزعيم يولد زعيماً وتظهر عليه المؤهلات ، ولكي تنمو فيه هذه المؤهلات وتبلغ وتتمنع من الانحطاط لا بد من العناية بتربية الأفراد خصوصاً الطبقة السالحة منها للقيادة التي تمتاز بمميزات جسمية كطول القامة والأتزان وحدة النظر مع الهدوء وتحمل المشقات ؛ ولا يسدح لذلك بالزواج إلا بعد الفحص الطبي والتحقق من سلامة الزوج والزوجة من الأمراض الجسمية أو العقلية أو الاجتماعية كالإدمان على الشرب واللصومية وغيرها . وهناك مدارس صارمة للزعامة يدخلها من يريد الانخراط في سلك الزعماء على اختلاف درجاته لها أنظمة شديدة ، ومن هذه الطبقة تنشأ طبقة خاصة هي طبقة الأشراف ، أشراف المستقبل الذين يقودون الجيل الجديد على طريقة فرسان الجرمان القدماء^(٣)

أما الزعامة المنصرية أو الأهمية فتتلخص في أن الأهم ليست متساوية كذلك في القابليات والإنتاج ؛ وهي فطرية كذلك كما هي في الأفراد . والشعوب الآرية في نظر الوطنية الاشتراكية هي الشعوب المنتجة وحدها ، وكل حضارة في العالم أو مدنية هي من صنعة هذا الجنس ، وهذا ما يدعو طبعاً إلى قلب التاريخ ظهراً على عقب وإلى كتابة تاريخ عالمي جديد . لذلك حاربت النظرية المادية في التاريخ وهي نظرية كارل ماركس Karl Marx وزميله أنسل Fr. Engels و A Bebel ببيل وهي النظرية المعروفة بـ Äkonomische Materialismus القائلة بأن التاريخ أو التطور البشري نتيجة من نتائج التطور الاقتصادي ، وكذلك نظرية Oswald Spengler الناصة على وجود حضارات بشرية مختلفة ، فهناك حضارة بابلية وهناك حضارة مصرية ، وهناك حضارة سينية ، وهنا لك حضارة عربية . كما أن هناك حضارة ألمانية أو حضارة إنكليزية ، ولكل حضارة من هذه الحضارات نفسية خاصة (أنظر كتابه المشهور سقوط الغرب) وكذلك نظريات الكتاب الأحرار الذين يرون

(١) أنظر لزيادة الاطلاع كتاب كفافي Mein Kampf ص ٦٥٠ وكذلك ص ٦٦١ ص ٨٩ وغيرها Hitler's Wollen, Werner Siebarth ص ٢٦٤ و ٢٦٥ Dietrich Klagges, Geschichts Unterricht ص ١٤٢ A. Rosenberg. Der mythus ١٩٣٠ في مختلف فصوله

(٢) لقد جمع الوزير والتر دارر Walter Darré في كتابه Neuodd aus Blut Und Boden جميع الآراء الجديدة حول إنشاء هذا الجيل الجديد .

(١) أنظر كتاب Helmut Nicolai, Der Staat im Nationalsozialistischen Weltbild ص ٢٧.

لدويك شيمان Prof. Luduig Schemann والبروفسور كنتر Prof. Hans Guntter وغيرهم، وأخذوا في دراسة المنصرية من جميع أوجهها متخذين للموضوع قواعد وأساساً وأدوات، وقد ساعدتهم الوطنية الاشتراكية طبعا بكل تراها، وأسست معاهد للمنصرية في الجامعات والمستشفيات وجميع المؤسسات الشعبية. وظهر في عالم الدروس الجاسية فرع خاص يسمى باسم مبحث الأجناس Rassenkunde. وقد كيفت النازية السياسة والعلم والفن والرأى العام على هذا الاتجاه، إذ يرى هتلر أن مصدر كل بلاء نزل على ألمانيا هو إهمالها المنصرية وتصاهرها مع اليهود الذين أضروا بالأخلاق والتقاليد الجرمانية للوروة، وكذلك المسيحية اليهودية التي لا تمثل إلا أخلاق اليهود. وهذه كانت نظرية الفيلسوف نيتشه الذي كان يصف الأخلاق المسيحية بأخلاق المبيد، وكذلك شامبرلين وغيرها. لذلك أكره هتلر جميع العلماء والمؤسسات العلمية على تطبيق هذه النظرية، وقاوم كل نظرية تدعو إلى الأهمية وإلى المساواة بين الشعوب. ومثله في ذلك عقيدة الزعامة حيث صور الشعوب كالمهرم أيضاً، فاعدته متسمة بضم في أسفله الشعوب النخبة والأقوام الابتدائية، ثم يضيق شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى القمة حيث هناك الشعوب الجرمانية الألمان والسكاندناويين والداغارك، وفي قمة هذا الهرم تماماً تكون ألمانيا. (أنظر كتاب Dietrich Klagges Geschichts Unterricht ص ١٤٠) وهكذا طبق هتلر عقيدة الزعامة الفردية على الزعامة الأهمية، فكما أن هتلر هو زعيم الألمان القى يجب أن يطاع لما له من مواهب الزعامة الموهوبة الفطرية^(١) فكذلك يريد أن يجعل شعبه في قمة الزعامة الأهمية التي لا يرتقى إلى مصافها شعب

كان من الطبيعي أن يمانى العلم والفن من جراء هذه النظرية مصاعب شتى ولا سيما العلوم العقلية منها كالنفسنة وعلم الاجتماع وعلم التربية والسياسة والاقتصاد وخصوصاً التاريخ الذي يمتنى به هتلر عناية خاصة، وخصص له عدة صحائف في كتابه كفاحي لأنه يرى في التاريخ خير درس وعبرة للأفراد والشعوب على الطريقة التاريخية القديمة التي تنسب إلى المؤرخ اليوناني توكيديدس Thukydides (٤٦٠ - ٤٠٠ ق. م) والمعروفة في التاريخ باسم Pragmatische Geschichte أو التاريخ التعليمي. وبما أن الطريقة العلمية في مثل

العالم ككتلة واحدة والمبادئ التي نشأت من الثورة الفرنسية إن فكرة الزعامة المنصرية هذه ليست فكرة هتلر بمعنى أنه هو الذي ابتدعها وكونها، بل هي فكرة عالمية قديمة كانت لدى اليونان إذ كانوا يحتمرون الشعوب الأخرى ولا يعترفون لها بالإنجاز؛ وكانت كذلك لدى الرومان والعرب، وظهرت في العصر الإسلامي باسم الشموية وهي حركة كانت ضد العرب؛ وكانت لدى الأمم الأخرى، والحركة الدابة للسامية قديمة أيضاً حتى أن لوثر المصلح الديني العظيم في ألمانيا كان من الذين يكرهون اليهود. ولكن تلك الفكرة لم تطبع بالطابع العلمى وتصبح عقيدة كما أصبحت في ألمانيا اليوم. وأشهر الذين نادوا بالزعامة المنصرية قبل هتلر هم الألمان Klemm (١٨٠٢ - ١٨٦٧) الذي بحث عن الشعوب الفعالة وانتشارها على الكرة الأرضية واعتقد بأن الشعوب الهندو آرية هي الشعوب المنتجة وحدها. وكذلك الفرنسي المشهور Graf Gobineau كراف كوينو (١٨١٦ - ١٨٨٢) في كتابه Essai sur L'inégalité des races humaines وقد توصل إلى نتيجة تفوق المنصر الجرمانى على جميع العناصر؛ ثم الكاتب الفيلسوف الشهير هوستن شامبرلين Houston Stewart Chamberlin (١٨٥٥ - ١٩٢٨) في كتابه Grundlagen des 19 Jahrhunderts وهو إنكليزي الأصل ألماني الثقافة صديق الموسيقى الشهير ريشارد واكنز المعروف بكرهه لليهود أيضاً. وكان شامبرلين هذا يكره اليهود وحاول في كتابه بمت ألمانيا من جديد إثبات أن المنصر السامي هو عنصر غير منتج. ولأفكاره أعظم أثر في شخصية هتلر وآرائه. وقد زاره مراراً، وتعتبر كتبه من أهم الكتب التي كونت الوطنية الاشتراكية بمجنب كتاب كفاحي Mein Kampf ويرى من خلال دراسته المصبوغة بطابعه الجرمانى الخاص أن الشعب الجرمانى وحده له حق القيادة والزعامة إذ هو الشعب المنتج على الإطلاق، وأن اليهودية والشعوب السامية لم تنتج شيئاً وما أُنْتِجَتْ هو نتيجة العقلية الآرية فقط

كانت فكرة المنصرية قد توسعت منذ عهد بسمارك إذ أطلقت لليهود، لأسباب سياسية، الحرية المدنية وسمح لهم بالتوظيف في الدولة من دون قيد ولا شرط. فازداد بذلك العداء وتوسعت الفكرة المنصرية ولا سيما بعد الحرب المظلمى، وظهر مختلف الكتاب الذين شنوا الفارة على اليهود كالأساتذة أدولف بارتلز المشهور بكتابه «تاريخ الأدب الألماني» على الطريقة المنصرية، والبروفسور

(١) يذكر Henry Marr في كتابه Die massenwelt ص 452 وما بعدها بعض المعجزات التي كانت لهتلر عند إبداء أمره منها، إعادة البصر إلى امرأة عمياء، عرد مرور هتلر أمامها

الفصل الذى كُتبه عن الحضارة العربية الإسلامية
وكان من جراء هذه النظرية تعديل الكتب التاريخية ومناهج
البحث ووضع قواعد ثابتة للتأريخ وفق القيم النازية، ولقد لخصها
الوزير الألماني ديترش كلاكس في كتابه تعليم التاريخ *Geschichts*
Unterricht بما يأتى :

إن الحياة كفاح، والشعوب ليست بشئ أبداً دون زعيم،
والشعب هو مستقبل الفرد، والمواطنيين يرتبط بعضهم ببعض
في السراء والضراء على قاعدة المنصرية والدم، وكل خائن عقابه القتل.
يموت الفرد ويسقى الشعب، ولكن الشعب يجب أن يكون خالماً
تقياً كما أن الدولة يجب أن تكون تقيّة ذات عنصر واحد .
ولكى تعيش هذه الشعوب تحتاج إلى قوى وجهاد وأسلحة
وعتاد إذ بدونها لا تعيش الأمم . وبين هذه الأمم اختلاف في العقل
والجسم، وفي مقدمة هذه الأمم الأمة الألمانية؛ لذلك فإن كل من
يتنادى بالأممية وبالتطور البشرى وبحقوق الشعوب يجب عقابه
عقاب مفتر كذاب، إذ أن الطبيعة البشرية تناقض ذلك. والشعب
السعيد هو الذى يخضع لرعي مطاع . والمنصرية هي مفتاح تاريخ
العالم . (أنظر ص ١٤١ - ١٤٣) .

هذه هي نظرية الوطنية الاشتراكية وعقيدتها التى تتمسك
بها وكل ما يتعارض مع هذه العقيدة ينظر إليه نظر المسلم إلى الكفر
والإلحاد. لذلك فالناسونية والشيوعية والديمقراطية والأديان العالمية
التي تساوى بين الشعوب والأفكار الأممية كلها آراء فاسدة
تعارض حسب نظرها مع الطبيعة البشرية والتأريخ . هذه هي
فلسفة النازية، من أدرك شكل هذا الحرم الذى يمثل الزعامتين
عرف المذهب تماماً وأدرك سبب كره هتلر للبادي المذكورة .
ولعل في نفسية هتلر وقسوة العالم الخارجى بعد الحرب العظمى
على ألمانيا هي الباعث على تطرف الألمانية الوطنية هذه

ميراد على

خريج جامعة هامبورج بألمانيا

كتاب فاروق الأول مجانا

ارسل قرش صاغ تكاليف البريد يصلك الكتاب أو ثلاثة قروش
يصلك منه (فلسطين الثائرة) أو خمسة قروش يصلك معهما (الرشد
التاريخي) أو ثمانية قروش يصلك معهما كتابي (الدخين) و (ربحي
الزنازة) ومشرة قروش في الخارج . ولا تقبل طوابع بريد خارجية .
وذلك إلى الأستاذ :

عبد السلام حسني

شبرا شارع موسى رقم ١٩ بحمص

هذه الموضوعات حرة وآراء الأساتذة مختلفة طليقة تكره التحيز
والتعصب، لذلك كانت مهمة العلماء في مثل هذه الموضوعات صعبة
جداً. والنتيجة للمنطقية لذلك كانت إحجام الكثير منهم عن التأليف
وتبيان آرائهم بصراحة، وإجهاد الفكر لإيجاد براهين جديدة
لتحقيق نظرية الزعامة وقلب العلم رأساً على عقب . ولو تصور
القارى مثلاً أن علم التاريخ حسب هذه النظرية يجب أن يقلب رأساً
على عقب تماماً عرف صعوبة المهمة الشاقة ونظر العلماء الأجانب إلى
أمثال هذه الآراء . فالنظرية النازية الجديدة في التاريخ ترى أنه
من الكفر الابتداء منذ اليوم بالتاريخ القديم بممالك الشرق الأدنى
كالمصريين والبابليين والآشوريين، بل ترى في ذلك الخطأ الفادح لأن
من عقيدتها أن الحضارة الجرمانية أساس الحضارات، ومن الجرمان
أخذت الشعوب الشرقية حضارتها مستدلة بذلك على نظريات الهجرة،
وتوسع السكان الذى جرى ولا يزال يجرى إلى الآن، وعلى حفريات
تقوم بها المؤسسات الألمانية ثم يحكم هي بنفسها على تقدير أعمار
المكتشفات الأثرية وقدمها. ولا شك أن ذلك مما يسخر منه علماء
- الأقطار الأوربية الأخرى ولا يدينون به، وكذلك علماء ألمانيا
أنفسهم، ولكن السياسة طبعاً هي التي تتطلب الآن على العلم^(١)

يقسم علماء التاريخ اليوم في ألمانيا العالم إلى قسمين :
شعوب سياسية تنشئ التاريخ وتكونه وهي الشعوب الجرمانية
طبعاً، وشعوب غير سياسية وهي التي لا تلب دوراً في التاريخ
ولا في السياسة بل يلبس بها وهي الشعوب السامية والزنجية
وغيرها^(٢). ويصرح هتلر بهذه الفكرة في كتابه كفاحي، ويرى
فضلاً عن ذلك أن التاريخ هو محصول الأفراد لا الشعوب، أى أن
الزعماء هم الذين يكوّنون التاريخ لا الجماعة، إذ الجماعة تساق فتساق
وتؤمر فتطيع^(٣) ومن أجل ذلك أمر بكتابة تاريخ جديد، وأنشأ
تاريخاً عاماً للعالم يستند إلى أساس المنصرية فيبدأ بالجرمان والشعوب
- الأوربية السياسية المكونة للتاريخ وينتهي بالشعوب التي لم تلب
دوراً في السياسة، فتفحص فحسباً من جديد، وكل ما وجد فيها من
حضارة يستند إلى الآرية كما فعل الفريد دوزنبرك في كتابه « خرافة
القرن العشرين » *Der Myttus des 20 lahrhunderts* في

(١) لمرة التفاصيل أنظر كتاب *Geschichts Unterricht* مؤلفه

Dietrich Klagges

(٢) أنظر كذلك نفس الكتاب وكتاب كفاحي وكتاب خرافة

القرن العشرين لروزنبرك وكتاب مايرده هتلر مؤلفه *Werner Siebarth*

(٣) أنظر كتاب أدولف هتلر مرين الألمان مؤلفه *Höper*